الأبعاد اللّغوية والبلاغية للاميّة أبي طالب(ع)

الكلمات المفتاحية: لامية _أبو طالب(ع)

أ.م.د حسين منيرالدين صدرالله حديدي م.م باسم أحمد محمد محمدي

كلية اللغة العربية وآدابها /جامعة بيام نور كلية اللغة العربية وآدابها /جامعة بيام نور

hadidi660@gmail.com abozeinab@yahoo.com

الملخّص

تُعدّ النصوصُ الأدبية للشعراء والأدباء في صدر الاسلام، مصدراً مهماً للمعنيين بالحضارة والتأريخ والأدب واللغة والشعر ونافذة تفتح لنا آفاق الاطلاع على تفاصيل مجريات الاحداث التأريخية التي يقدسها المسلمون كحوادث البعثة النبوية الشريفة، فضلاً عن كونها مادة خصبة لتأصيل النتاجات المعاصرة في الشعر والنثر والنحو والبلاغة والبيان واللغة. وتأتي لامية أبي طالب في طليعة القصائد التي أرخت لإرهاصات المبعث النبوي الشريف، وفي طليعة النصوص الأدبية التي احتوت على ثروة لغوية ثرّة. كلّ ذلك حدا بهذا البحث أن يأخذ على عاتقه دراسة جوانب من الأبعاد اللّغوية لهذه القصيدة العصماء من خلال مراجعة المصادر الأدبية ، واللغوية ، وتعّرف آراء زعماء الأدب العربي في اللامية التي عدّوها الأنموذج الأمثل في الشعر العربي، مع دراسة أمثلة من الشواهد النحوية ، واللغوية ، والبلاغية التي استشهد بها عدد من مصنّفي الأدب العربي في مصنفاتهم على مدى عصور مختلفة.

المقدمة

من نافلة القول إنّ للغة العربية واتقانها أثراً مهماً في تيسير الاطلاع على الحضارة الإسلامية ، وما تمخض عنها من علوم ومعارف ونتاجات أدبية كتبها باللغة العربية أدباء ومفكرون من غير العرب ، أسهمت في تشييد صرح حضارة شاركت فيها عقول وأقلام من مختلف الطوائف والقوميات مشاركة كبيرة حتى كان لبعضهم فضل السبق في اللغة والنحو والبلاغة والبيان والشعر والنثر، والسهم الأوفى في الفقه والحديث والتاريخ والفلسفة والتفسير والرياضيات والفلك ، وغيرها من العلوم.

من هنا كان إتقان اللغة العربية وعناية غير الناطقين بها ، والراغبين في الاطلاع على المنجزات الحضارية التي قدّمها السلف الصالح، أمراً ضرورياً. ومما يمكن لفت الأنظار إليه العناية بلغة الحضارة الإسلامية، وما تمخّض فيها من أعمال أدبية ولغوية كلامية أبي طالب (ع) التي عدّها ابن كثير أبلغ من المعلقات السبع . وتهافت زعماء الأدب العربي على شرحها والاستشهاد بالعديد من أبياتها في الدراسات اللغوية والنحوية والبلاغية ، منهم البغدادي في خزانته ، وسيبويه في كتابه. وأبو العباس المبّرد في كتاب الكامل في اللغة والأدب، والشنتمري في كتابه تحصيل عين الذهب ، وفي شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الإشبيلي ، وفي أمالي ابن الشجري ، وفي شرح شذور الذهب للزجاجي، وكتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب للأنصاري ، والسيوطي في كتابه شرح شواهد المغني ، أما اللغويون فقد استعانوا أيضاً بشواهد من شعر أبي طالب لتفسير الألفاظ ، منهم ابن قتيبة في كتاب المعاني الكبير ، وأبو علي القالي في كتابه البارع في اللغة. وابن دريد الأزدي في كتابه الاشتقاق ، وكذا أبو هلال العسكري في ديوان معانيه. ومن زعماء الأدب العربي الذين عنوا أيضاً بشعر أبي طالب أبو الفرج الاصفهاني في كتابه الشهير الأغاني.

لغة اللامية

مما يلفت النظر في لامية أبي طالب لغتها العربية الفخمة الفصيحة ، التي مهَّدت لعدد كثير من أبياتها لتكون شواهد لغوية ذكرها أهل اللغة ـ كما ألمحنا آنفاً ـ تأييداً لمعنى لغوي معين. ومما يدلنا على قوة لغة هذه القصيدة ، أنَّ كثيراً مِنْ ألفاظِها يحتاج الناظر فيها من أجل فهم معانيها بدقة إلى مراجعة معجمات اللغة لما تنطوي عليه ألفاظها من أبعاد فنية ولغوية دقيقة وعميقة. وهذا ما يحدو الباحث فيها الوقوف على جانب من تلك الأبعاد على سبيل التمثيل لا التفصيل وفقاً للآتي :

البعد اللفظي

البعد النحوي

البعد البلاغي

أولاً : البعد اللفظي

تميزت ألفاظ القصيدة بجزالة وفصاحة أتاحت لها رسم صور فنية في معظم أبياتها ، فسجلت مشاهد فريدة لمعاناة الرسول الكريم **صلى الله عليه وآله وسلم** ، ولإرهاصات اللحظات العصيبة التي مرّت بها الدعوة الإسلامية في بدايات انبثاقها، فكانت بحق وثيقة تأريخية وأدبية ، وسجلاً حافلاً بالصور والمشاهد التي لم تتمكن الرواية التأريخية رصد تفاصيلها وملامحها ، وإيقاعاتها التي تستقطب أحاسيس ، ومشاعر ولب المتتبع والباحث في حوادث السيرة النبوية الشريفة. ومن الجدير بالذكر أنَّ عناية الشاعر بغايات القصيدة ومناسبتها ، ومحل إنشائها ، والحدث الذي استدعى نظمها لم يضعف البعد الجمالي ، والفني فيها ، بل أدى إلى تناسق وتناغم الشكل والمضمون معاً ، وإلى وضوح الأفكار في بناء لغوي ، وسبك مترابط الأجزاء يقود بعضه ببعض خلال جسور لغوية ، وانتقالات فنية من مشهد إلى آخر، ممّا أدى إلى عرض القصيدة بمظهر لغوي محكم في الشكل والمضمون ، والايقاع والجرس والدلالة ووحدة الفكر فيها. وهي من غير شك شاهد على بلاغة ناظمها، بل إنَّ صورها الجمالية ولغتها الفخمة تعيد إلى الأذهان مقولة ابن كثير ـ المذكورة آنفاً ـ فيها بكونها لا يمكن أن تنسب إلاّ إلى قائلها ، وأنها أفحل من المعلقات السبع. فهي ملحمة من ملاحم الشعر العربي لما انطوت عليه من جزالة لغوية ، وإبداع فني ، وأصالة فكرية ، وقيم إنسانية نبيلة. ومن فصاحة ألفاظ اللامية وجزالة لغتها، استعانة أبي طالب(ع) بتراكيب لغوية ، ومفردات ، وألفاظ ذات معانٍ عميقة ، ومؤثرة نقف عند نماذج مما جاء في بعض أبياتها:

صَبَرْتُ لَهم نَفسي بِصفراءَ سمحةٍ وأبيضَ ماضٍ مِن تُراثِ المَقَاوِلِ[١]

١-**صبر** : جاء الفعل (صبر) هنا متعدياً إلى النفس مباشرة مفيداً معنىً لغوياً فصيحاً. والصبر حبس النفس عن الجزع واصطبرت مثله ، وصبرت زيداً يُستَعمل لازماً ومتعدياً ، وصَبَّرته بالتثقيل حملته على الصبر بوعد الأجر ، أو قلتُ له اصبر[٢] . قال تعالى ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم ﴾ [٣] ، وقال عنترة يذكر حرباً كان فيها:

فصبرتُ عارفةً لذلك حُرَّةً تَرسو إذا نفسُ الجبانِ تَطَلَّعُ

أراد : حبست نفساً صابرة [٤]. وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رجل أمسك رجلاً وقتله آخر قال :((أقتلوا القاتل وأصبروا الصابر))[٥] ، أي احبسوا الذي حبسه للموت حتى يموت. وكلّ ذي روح يُوثق حتى يُقتل فقد قُتل صبراً[٦]. ويفهم ممّا تقدّم أنَّ قول أبي طالب(ع) : (صَبَرتُ لهم نفسي) من الكلام العربي الفصيح.

٢-صفراء سمحة : جاء في البيت المتقدم لفظ (بصفراءَ سَمحة) ، وفي رواية (بسمراء سمحة) والصفراء : القوس والسمراء : القناة أما الأبيض فهو السيف في اللغة ، ويُجمع على بِيْض [٧] ، ويوصف السيف بأنه ماضٍ في الضريبة إذا قطع[٨] .

وقوله :

وَقَد صارَحونا بالعداوةِ والأذى وَقد طاوَعُوا أَمْرَ العَدوِّ المُزايِلِ[٩]

٣-صارَحَ : والمصارحة هنا أُريد بها المواجهة والمكاشفة . جاء في (صرح) من المصباح المنير للفيومي :((صَرُحَ الشيءُ بالضم صراحةً ، وصُروحةً خَلُصَ من تعلّقات غيره ، فهو صريح وعربي صريح خالص النسب ، والجمع صرحاء وكل خالص صريح ، ومنه القول الصريح وهو الذي لا يفتقر إلى إضمار أو تأويل ... وصرح الحق عن محضه مثل انكشف الأمر بعد خفائه))[١٠] ، ولم يذكر الفيومي في مصباحه ، ولا الجوهري في صحاحه ، ولا الزمخشري في أساس البلاغة الفعل (صارح) ، بيد أنَّ الفيروزآبادي ذكره في القاموس المحيط : ((صارح بما في نفسه أبداه))[١١]. وقد استعمل أبوطالب الفعل (صارح) متعدياً إلى المفعول به بنفسه في قوله (صارحونا) والمراد المكاشفة بالعداوة والجهر بها. ولم تزل هذه اللفظة حيّة متداولة في يوميات الناطقين بالعربية ، وهي سائرة على ألسنة المثقفين.

٤-طاوَعَ :جاء في البيت المتقدّم قوله : (وقد طاوعونا) بتعدية الفعل (طاوع) بنفسه إلى ضمير الجمع (نا) كما عدّى (صارَحَ) . كذلك جاء في المصباح والمطاوعة : الموافقة[١٢].

التبَسَ

وإنّا لَعمرُ اللهِ إنْ جَدَّ ما أرى لَتَلتبسَنْ أسيافُنا بالأماثِلِ

في هذا البيت جاء الفعل التبس مؤَكَّداً بلام الطلب وبنون التوكيد ، كما جاء الشطر الأول من كلامه مُؤَكَّداً بإنَّ وبالقسم ، كل ذلك ليزيل أي التباس قد يخطر ببال قريش أنّه قد يتراجع يوماً ما عن عقيدته ، وعن مؤازرته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً : البعد النحوي

١-**أسلوب النفي** : ومن صوره : استعمال (ما) الحجازية النافية العاملة عمل ليس في رفع الاسم و نصب الخبر ، و(ما) هذه تعمل عمل (ليس) بأربعة شروط :

أحدها: أنْ يكونَ اسمُها مقدماً ، وخبرُها مؤخَّراً.

الثاني: أنْ لا يقترن الاسم بـ (إنْ) الزائدة.

الثالث: أنْ لا يقترن الخبر بـ (إلّا).

الرابع: أنْ لا يليها معمول الخبر وليس ظرفاً ، ولا جارّاً ولا مجروراً فاذا استوفت هذه الشروط الأربعة عملت هذا العمل سواء أكان اسمُها وخبرُها نكرتين ، أم معرفتين ، أو كان الاسم معرفة والخبر نكرة ، فالمعرفتان كقوله تعالى﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ﴾[١٣] ، والنكرتان كقوله تعالى﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾[١٤] ، والنكرتان كقوله تعالى﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾[١٥] ، ولم يقع في القرآن الكريم إعمال (ما) صريحاً في غير هذه المواضع الثلاثة وإعمالها لغة أهل الحجاز ولا يُعمِلُها بنو تميم ولو استوفت الشروط الأربعة[١٦]. وقد وردت (ما) في لامية أبي طالب(ع) وقد دخلت (الباء) في خبرها في قوله :

خَلِيلَيَّ ما أُذني لأولِ عاذلٍ بِصَغواءَ في حقٍّ ولاعِندَ باطلِ[١٧]

واستعمل أبوطالب في لاميته (ليس) بعد (إنَّ) وقرن خبر (ليس) بالباء ، وليس كلمة دالة على نفي الحال وتنفي غيره بقرينة نحو أنْ نقول : (ليسَ خلقَ اللهُ مثلَهُ) ، وقول الأعشى :

لَهُ نافلاتٌ ما يَغِبُّ نَوالُها ولَيسَ عَطاءُ اليومِ مانِعَهُ غَداً

وهي فعلٌ لا يتصرف ، وقيل إنَّها حرف بمنزلة (ما) تلازم رفع الاسم ونصب الخبر[١٨].

وجاءت (إنَّ) المكسورة المشدّدة متلوّةً بـ (ليس) وبعدها خبرها المقرون بالباء المفيدة للتوكيد في قول أبي طالب:

خليليَّ إنَّ الرأيَ ليس بشركةٍ ولا نُهبةٍ عندَ الأمور التلاتِلِ[١٩]

٢-**أُسلوب القسم** :وهو أنْ يَدخلَ على المُقْسَمِ به حرفٌ من أحرف القسم وهي الباء والواو و التاء و يجرّ بعدها الاسم المُقْسَم به[٢٠]. والقَسَمُ إمّا أنْ يكون بجملة فعلية نحو: أُقسم بالله ، أو بجملة اسمية نحو: يمين الله لأفعَلَنَّ كذا ، أو بأدوات القسم الجارّة لما بعدها وهي الباء والواو والتاء ، و جملة القسم الاسمية ضربان :

الأول : ما صدر بلفظ خاص بالقسم كأيمن الله ولعمرك ، وهذا يجب حذف خيره والتقدير: قسمي ، أو ما أقسم به.

الثاني : ما صُدِّر بلفظ خاص بالقسم كأمانة الله ، وعهد الله ، وهذا يجوز حذف خبره وإثباته ، وللقسم جواب كما للشرط جواب وقسم الطلب جوابُه الأمرُ ، أو النهي ، أو الاستفهام ، وقد يجاب بـ (إلاّ) ، و (لمّا) ، و (إنَّ). وأمّا قَسَمُ الإخبار فانه لابد أنْ يتلقّى بجملة اسمية ، أو فعلية على تفضيل[٢١].

ومن صور استعمال القسم في اللامية قول أبي طالب:

كَذِبْتم وبيتِ اللهِ نترك مكةَ ونظعنُ إلّا أمرُكم في بَلابِلِ[٢٢]

استعمل القسم بـ (بيت الله) بعد إدخال واو القسم على المُقْسَم به ، وتكرر هذا الأسلوب في قوله :

كَذِبْتُم وبيتِ اللهِ نَبْرا محمداً ولمّا نُطاعنْ دونَه ونُناصْلِ[٢٣]

والمعنى: لا نبرأ من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد جاء الفعل المضارع (نترك) في جواب القسم على حذف (لا) النافية ، وهذا الحذف أسلوب عربى ورد في قوله﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾[٢٤] أي لا تفتأ فحذف حرف النفي (لا) لكيلا يلتبس بالاثبات ؛ لأنَّه لو كان إثباتاً لم يكن بدّ من اللام والنون ، ومثله قول إمرئ القيس :

وَلَو قَطَعوا رأسي لَدَيْكِ وَأوصالي لقلت يمينُ الله أبرحُ قاعداً

أي : لا أبرح[٢٥] . وكرّر أبو طالب هذا القَسَم في قوله :

كذبتُم وربِّ الهَدْي تُدْمى نحورُها بمكةَ والركنِ العتيقِ المقبَّل[٢٦]

ولا يحذف النافي في جواب القسم إلاّ مع المضارع سواء أكان المضارع فعلاً من أفعال الاستمرار ، أم كان من غيرها ، كما قال مالك بن خالد الخناعي الهذلي :

تالله يبقى على الأيام ذو حِيَدٍ بمشمخرٍ به الضَّيانُ والآسُ

والملحوظ أنَّ النافي يُحذف كثيرا مع أفعال الاستمرار ، ولو لم تكن في جواب القسم قال الشاعر الجاهلي:

تنفك تسمع ما حييت بهالِك حتى تكونَهْ

وإنما جاز فيها خاصة للزوم النفي إيّاها فلا يلتبس بالإيجاب[٢٧] . ومن صور القسم استعمال الشاعر (لعمر الله) في قوله :

وإنّا لعمرالله إنْ جدَّ ما أرى لَتَلْتَبِسَنْ أَسيافُنا بالأماثلِ[٢٨]

ومن صوره أيضاً استعمال الشاعر أبي طالب (لعمري) في قوله :

لعمري لقد أجرى أُسَيْدٌ ورهطُه ... إلى بُغضِنا وجزاً بأكلةِ آكلِ

وكذلك قوله :

لعمري لقد أوهنتمُ وعجزتمُ وجئتم بأمرٍ مخطئ للمفاصلِ[٢٩]

وقوله:

لعمري لقد كُلِّفتُ و جداً بأحمدٍ وأخوته دأبَ المُحبِّ المُواصِلِ[٣٠]

((عَمِر الرجل بالكسر يَعْمَرُ عَمْراً وعُمْراً على غير قياس ؛ لأَنَّ القياس مصدره التحريك ، أي عاش زمناً طويلاً. ومن قولهم: أطال الله عمرَك وعَمْرَك وهما وإنْ كانا مصدرين بمعنىً ، إلّا أنه استعمل في القَسَم أحدُها وهو المفتوح ، فاذا أدخلت عليه اللام رفعته بالابتداء قلت: لَعَمْرُ الله واللام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف والتقدير: لَعمر الله قَسَمي ولِعَمْرُ اللهِ ما أُقسِمُ به ، فإنْ لم تأتِ باللام نصبته نصب المصادر وقلت: عَمْرَ اللهِ ما فعلت كذا ، وعَمْرَك اللهَ ما فعلت كذا ومعنى لَعْمرُ الله وعَمْرَ الله : أحلف ببقاء الله ودوامه، وإذا قلت: عَمْرَك الله فكأنك قلت : بتعميرك الله أي بإقرارك له بالبقاء، وقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

أيُّها المنكح الثُريّا سُهَيْلا عَمْرَك اللهَ كيف يلتقيان

أراد سألتُ اللهَ أنْ يُطيل عُمرك لأنه لم يرد القسم بذلك))[٣١].

ومن صور القَسَم في لامية أبي طالب استعماله لفظ الجلالة المعظم مسبوقاً بـ (الواو) في قوله:

فوالله لولا أنْ أجيء بسُبَّةٍ تجرُّ على أشياخنا في المحافل

لكنّا اتّبعاه على كل حالةٍ من الدهر جدّاً غير قول التهازُلِ[٣٢]

٣-**أسلوب الجرِّ بـ (رُبَّ)** : من المعلوم أنّ (ربّ) حرف من حروف الجرّ المختصّة بجرّ الظاهر دون المُضمَر ، وهي سبعة أحرف : الواو والتاء ومُذ ومنذُ وحتى والكاف وربّ[٣٣]. وتختصُّ (رُبَّ) بإعمالها محذوفة بعد الفاء كثيراً ، وبعد الواو قليلاً ، وبعد بل قليلاً وبدونهنَّ أقلّ[٣٤] . قال ابن هشام الانصاري في معنى (رُبَّ) : وليس معناها التقليل دائماً خلافاً للأكثرين ، ولا للتكثير دائماً خلافاً لابن درستويه وجماعة ، بل ترد للتكثير كثيراً وللتقليل قليلا ، واستشهد ابن هشام على المعنى الثاني لربَّ في

إفادتها التقليل بقول أبي طالب(ع) في مدح النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :

وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهِه ثِمالُ اليتامى عِصمةٌ للأرامِلِ[٣٥]

وقال محققا مُغني اللبيب ـ في الهامش ـ وهما الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله : إنَّ الواو في (وأبيضَ) ليست واو ربَّ ولكنها عاطفة عطفت (أبيضَ) على (سَيّداً) في بيت أبي طالب السابق وهو :

وما تركَ قومٌ ـ لا أبا لَكَ ـ سيّداً يَحوطُ الذِّمارَ في مِكَرٍّ ونائلِ

فلا شاهد فيه إذن[٣٦].

٤-أُسلوبُ النَصبِ على الذَّم : جاء هذا الأسلوب النحوي في قول أبي طالب(ع) في لاميته :

ورَهْطُ نُفَيْلٍ شَرَّ مَنْ وطِيءَ الحصى وألأَمَ حافٍ مِن مَعدٍّ وناعلِ[٣٧]

نصب الشاعر (شرَّ) على الذم. وهذا الأسلوب داخل في باب النعت في النحو ويعرف بـ (قطع الصفة). قال ابن هشام الانصاري : ((ويجوز قطع الصفة المعلوم موصوفها حقيقة أو ادّعاء رفعاً بتقدير هو ، ونصباً بتقدير أعني ، أو أذم ، أو أرحم ، وذلك إذا قال الموصوف معلوماً بدون الصفة جاز في الصفة الاتباع والقطع مثال ذلك في صفة المدح (الحمد لله الحميد). وقد أجاز فيه سيبويه الجر على الاتباع والنصب بتقدير أمدح ، والرفع بتقدير هو وقال : سمعنا بعض العرب يقول (الحمدلله ربَّ العالمين) بالنصب فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية . ومثاله في صنعة الذم ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾[٣٨]. قرأ الجمهور بالرفع على الاتباع ، وقرأ عاصم بالنصب على الذم. ومثاله في صفة الترحُّم (مررتُ بزيدٍ المسكين) يجوز فيه الخفض على الاتّباع ، والرفع بتقدير هو ، والنصب بتقدير ارحم ، ومثاله في صفة الإيضاح (مررت بزيد التاجر) يجوز فيه الخفض على الاتباع ، والرفع بتقدير هو ، والنصب بتقدير أعني ، ولا فرق في جواز القطع بين أنْ يكون الموصوف معلوماً حقيقةً ، أو ادعاءً ، وقد ذكر سيبويه أنَّه يجوز في مثال الادعاء أنْ تقول : (مررت بقومك الكرامٌ) بالرفع ، أو النصب إذا جعلت المخاطب كأنَّه قد عرفهم ثم قال : نزلتهم هذه المنزلة وإن كان لم يعرفهم))[٣٩]. ويفهم مما تقدم أنَّ هذا أسلوبٌ عربيٌّ فصيح . ومما ورد من هذا الأسلوب في الشعر قول الخرنق وهي أخت طرفة بن العبد البكريّ لأمِّهِ :

لا يبعدَنْ قومي الذين همُ سَمُّ العُداة وآفة الجُزُرِ
النازلين بكل معترك والطيبين معاقد الأُزْرِ

وورد في شواهد شعرية أُخرى(٤٠).

٥-**أُسلوبُ النصبِ على نَزعِ الخافض** : جاء هذا الأُسلوب العربي في لامية أبي طالب(ع) في قوله:

كَذِبتُم وبيتِ اللهِ نَبْزأ محمداً وَلَمّا نُطاعِنْ دُونَه ونُناصِلِ(٤١)

فعدّى الشاعر الفعل (نبزأ) بنفسه إلى (محمد) وهذا الفعل عند أهل اللغة يتعدى بـ (من) . جاء في (برأ) من صحاح الجوهري ((برئت منك ومن الديون والعيوب براءة ، وبرئت من المرض بُرءاً بالضم . وأبرأته ممّا لي عليه وبرّأته. وتبرّأت من كذا وأنا بَراء منه...))(٤٢). والنصب على الخافض حذف الجارّ من الفعل الذي يتعدى بالحرف وتعديته بنفسه. وقد جعل الشيخ البهائي في كتابه القيّم الصمدية المنصوب بنزع الخافض النوع السادس من المنصوبات ، وعرّفه بأنَّه الاسم الصريح ، أو المؤول المنصوب بفعل لازم بتقدير حرف الجر ، وهو قياسي مع (أنْ) و(أنَّ) نحو ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(٤٣) ، و((عجبت أنَّ زيدا قائم) وسماعي في غير ذلك نحو (ذهبتُ الشام))(٤٤) ، ففي الآية يُؤول إلى المصدر فيصير: بمجيء ذكر، وفي العبارة التي تلتها يصير: بقيام زيد. فالنصب على نزع الخافض أسلوب عربي فصيح ومن شواهده قول أعرابي في بني كلاب في حَنين ناقته :

تَحِنُّ فتُبْدي مَا بها مِنْ صَبابةٍ وأُخفي الذي لَولا الأسَى لَقَضاني

يريد: لقضى عليَّ، فأخرجه لفصاحته وعلمه بجواهر الكلام أحسنَ مُخْرَجٍ ؛ قال تعالى﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾(٤٥)، والمعنى إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم، ألا ترى أنَّ الآية التي سبقتها ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ فهؤلاء أخذوا منهم ثم أعطوهم، وقال تعالى﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾(٤٦) ، أي من قومه . وقال الشاعر:

أمرتُكَ الخيرَ فافعَلْ ما أُمرتَ بهِ ... فقد تركتُكَ ذا مالٍ وذا نَشَبِ

أي أمرتك بالخير. ومن ذلك قول الفرزدق:

ومنّا الذي أُختِيرَ الرجالَ سماحةً ... وجوداً إذا هَبَّ الرِّياحُ الزَّعازِعُ

أي من الرجال. فهذا الكلام الفصيح(٤٧) .

٦-**أُسلوبُ النِّداء** : المنادى هو المدعو بأحد أَحرف النداء وهي: (أيا) و(هيا) و(أي) أو (آ) مع البعد وبالهمزة مع القرب ، وبـ (يا) مطلقاً ويشترط كونه مظهراً وخلّوه عن اللام إلّا في لفظ الجلالة[٤٨] . وقد جاء النداء في لامية أبي طالب على صور منها:

أ- استعمال المنادى المثنى المنصوب المضاف إلى ياء المتكلم مع حذف حرف النداء ، وذلك في قوله :

خَلِيلَيَّ مَا أُذني لأوَّلِ عاذِلٍ بِصَغواءَ في حقٍّ ولا عِندَ باطلِ

خَلِيلَيَّ إنَّ الرأي لَيسَ بِشِركةٍ ولا نُهْبةٍ عندَ الأُمورِ التَلاتلِ[٤٩]

وحرف نداء المحذوف يمكن تقديره بـ (يا) وهو لمطلق النداء ، وتكرر هذا في الأبيات (٤٩) و(٧٣) و(٨٨).

ب- إستعمال الهمزة في النداء لِلْعَلَم المبني على الضّم في قوله :

أمُطْعِمُ لَم أخْذُ لْك في يومِ نَجْدةٍ ولا عندَ تلكَ المُعْظَماتِ الجلائِلِ[٥٠]

وكرّر أبوطالب(ع) هذا الأسلوب في النداء في قوله :

أمُطْعِمُ إنّ القومَ سامُوكَ خُطَّةً وإنّي متى أُوكلْ فَلَسْتُ بآيلِ[٥١]

ومُطْعِمُ المُخاطَبُ هنا هو مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف[٥٢].

ج- ومن أسلوب النداء استعمال العَلَم المنادى المفرد المبني على الضم المسبوق بالواو ، وقد حذف حرف النداء وذلك في قوله :

وعتبةُ لاتَسْمع بنا قولَ كاشحٍ حَسودٍ كذوبٍ مُبْغِضٍ ذي دغاولِ[٥٣]

ومن صور النداء استعمال أبي طالب اسم العَلَمِ المضاف المنصوب المسبوق بـ (الفاء) مع حذف حرف النداء وحذف المضاف في قوله :

فَعَبْدَ مَنافٍ أنتمْ خيرُ قومِكُمْ فلا تشركوا في أمرِكم كلَّ واغلِ[٥٤]

والتقدير هنا: فيا بني عبدَ مناف. ويدلّ على هذا المراد قول أبي طالب(ع)(أنتم خيرُ قومكم) وقوله (فلا تشركوا في أمركم كلَّ واغل) وهذا يدلُّ على أنه أراد (بني عبد مناف).

٧-**أسلوبُ الجَرِّ على الجِوار** : جاء هذا الأسلوب في قول أبي طالب(ع) في لاميته :

جَزَتْ رَحِمٌ عَنّا أُسَيْداً وخالداً جَزاءَ مُسِيءٍ لا يُؤَخَّرُ عاجِلِ[٥٥]

قال أبو هِفّانُ المِهْزَمي البصري(ت ٢٥٧هـ) أحد صانعَي ديوان أبي طالب : خَفَضَ (عاجِل) على الجِوار، كـ (جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ) وكقول العَجّاج : كأَنَّ نَسْجَ العَنْكَبُوتِ المُرْمَلِ[٥٦] . وقد عقد ابن جنّي باباً في الجِوار في الخصائص ، وقال : ((إنَّ الجِوارَ على ضربين أحدهما تجاور الألفاظ ، والآخر تجاور الأحوال ، فأمّا تجاور الألفاظ فعلى ضربين أحدهما في المتصل ، والآخر في المنفصل)) ثم قال : ((وأمّا الجوار في المنفصل فنحو ما ذهبت الكافة إليه في قولهم : هذا جحرُ ضبّ خرب ، وقول الحطيئة :

فإياكم وَحيّةَ بَطْنِ وادٍ هَمُوزِ النابِ ليسَ لَكُم بِسِيِّ

فيمَن جرّ (هموز الناب) ، وقول الآخر كأَنَّ نَسْجَ العنكبوتِ المُرْمَلِ ، وإنَّما صوابه (المُرْمَلا) . وأمّا قوله : كَبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ ، فقد يكون أيضاً على هذا النحو من الجوار. وأمّا عندنا نحن فإنَّهُ أراد مزمّل فيه ، فحذف حرف الجرّ فارتفع الضمير فاستتر في المفعول[٥٧] . والجرّ على المجاورة يرد في باب النعت في النحو العربي ، وقد ذكر ابن هشام الأنصاري في باب المجرورات. المجرور بالمجاورة ، وقال : إنَّه شاذّ ، وذكر أنّه يَرد في بابي النعت ، والتأكيد ، وقيل في باب العطف ، واستدل على ورود هذا الأسلوب في النعت بقولهم (هذا جحرُ ضَبٍّ خَرِبٍ) بخفض خَرِبٍ لمجاورته للضَبِّ ، وحقّهُ الرفع ؛ لأنَّه صفة للمرفوع ، وهو الجُحْرُ ، وأكثر العرب على الرفع ، واستدل على وروده في باب التوكيد بقول الشاعر:

ياصاحِ بَلِّغْ ذوي الزوجاتِ كلِّهم أنْ ليسَ وَصْلٌ إذا انحَلَّت عُرى الذَّنبِ

وكلِّهم هنا توكيد لذوي الزوجات ، وإلّا لقال (كلّهن)، و(ذوي) منصوب على المفعولية ، وكان حق(كلهم) النصب ولكنه خفض لمجاورة المخفوض[٥٨]. وهذا الجرّ للمجاورة من باب المثل القائل : قَد يُؤخَذُ الجارُ بجُرمِ الجارِ، كما صرّح ابن هشام بذلك[٥٩].

٨-**أُسلوبُ الشرطِ والجزاء** : وهو أسلوبٌ عربي معروف ويقتضي وجود علاقة سببية بين فعل الشرط وجوابه ، وقد نصَّ ابن هشام الأنصاري على أنَّ جزاء الشرط كما في قوله تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ ﴾[٦٠] تقدَّم الطلب هنا وهو (تعالَوا) وتأخَّر المضارع المجرَّد من الفاء وهو(أتلُ) وقُصد به الجزاء ، إذ المعنى : تعالوا فإنْ تأتوا أتلُ عليكم ، فالتلاوة عليهم مسبِّبَة عن مجيئهم فلذلك جزم[٦١]. وقد استعمل أبو طالب(ع) (لَمّا) المختصة بالماضي المقتضية جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما نحو (لَمّا جاءني أكرمتُه) ، ويُقال في (لمّا) هذه أنها حرف وجود لوجود، وبعضهم يقول : حرف وجوب لوجوب، وزعم ابن السرّاج وتبعه

الفارسي وتبعهما ابن جنّي وتبعهم جماعة ؛ أنَّها ظرف بمعنى (حين) . وقال ابن مالك هي بمعنى (إذ) وهو رأي حَسَنٌ عند ابن هشام الأنصاري لأنها مختصة بالماضي ، وبالإضافة إلى الجملة. ويكون جوابها فعلاً ماضياً اتفاقاً وجملة اسمية مقرونة بـ (إذا) الفجائية ، أو بـ (الفاء) عند ابن مالك وفعلاً مضارعاً عند ابن عصفور، ودليل الأوّل : ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾[٦٢]، والثاني :﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[٦٣]، والثالث : ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾[٦٤] والرابع : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا ﴾[٦٥]، وقيل في الآية الأخيرة إنَّ الجواب : جاءته البشرى على زيادة الواو ، أو محذوف ، أي: أَقْبَلَ يُجادِلُنا[٦٦]. قال أبو طالب في لاميته مستعملاً (لَمّا) وجوابها :

ولَمّا رأيتُ القَومَ لا ودَّ فيهمُ وقد قَطَعوا كُلَّ العُرى والوسائلِ
وَقَد صارَحُونا بالعداوةِ والاذى وقد طاوعوا أمرَ العدّو المُزايلِ
وقد حالَفوا قوماً علينا أظنَّةً يعضّونَ غَيظاً خَلْفنا بالأنامِلِ
صَبَرتُ لَهم نَفسي بصفراءَ سَمْحةٍ وأبيضَ ماضٍ مِن تُراثِ المقاولِ[٦٧]

و(رأيت) الفعل الماضي هو فعلُ (لمّا) وجوابها جاء بعد بيتين في قوله (صبرتُ). ومن صور الشرط والجزاء قول أبي طالب :

وقد خِفْتَ إنْ لَمْ تَزْدَجرهم وترعووا نُلاقي ونَلقى منك إحدى البَلابِلِ[٦٨]

والبيت هنا على تقدير (وقد خفت أنْ نلاقي ونَلقى منك إحدى البلابل إنْ لم تزدجرهم وترعووا وقد حذف جواب الشرط لوجود ما يدل عليه وهو قوله : (وقد خِفْتَ ...) ، وقريب ممّا تَقدّم قولُ أبي طالب أيضا :

فقد خِفْتُ إنْ لم يُصلِحِ اللهُ أمرَكم تكونوا كما كانت أحاديثُ وائِلِ[٦٩]

قال أبو هفّان : أراد أنْ تكونوا كبكر ، وتغلب[٧٠]. وقد حذف جواب الشرط هنا لدلالة ما قبله على الجواب. ومن صور استعمال الشاعر الشرط والجزاء في لاميته قوله :

فإنْ يَكُ قوم سرّهم ما صنعتمُ سيحتلبوها لامحَاً غيرَ باهلِ[٧١]

وجواب الشرط هنا هو (سَيَحْتَلِبُوها) ولابدَّ أنْ يكون الجواب هنا مقترناً بالفاء ؛ ذكر ابن هشام الانصاري ، والغلاييني: وإذا لم تصلح الجملة الواقعة جواباً لإنْ ، تقع بعد أداة الشرط وجب اقترانها بالفاء وذلك في الأحوال الآتية :

١. إذا كانت الجملة اسمية.

٢. إذا كانت الجملة فعلية فعلها طلبي.
٣. إذا كانت فعلية فعلها جامد.
٤. إذا كان فعلها منفياً بـ (لن).
٥. إذا كان فعلها منفياً بـ (ما).
٦. إذا كان فعلها مقروناً بـ (قد).
٧. إذا كان فعلها مقروناً بحرف تنفيس[٧٢].

وحرف التنفيس هو(السين) ، أو(سوف) وقد جاء حرف التنفيس هذا في البيت المذكور آنفاً في (سَيَحْتَلِبُوها)، فلا بدَّ من اقترانه بـ (الفاء) إلّا أنَّ الشاعر حذف الفاء للضرورة الشعرية . ومن صور استعمال أبي طالب الشرط وجوابه ما ورد في قوله :

فإنْ تَكُ كعبٌ مِن لُؤي تَجَمَّعَتْ فلا بُدَّ يوماً مرةً في تَزايُلِ[٧٣]

وقد كرَّرَ أبوطالب هذا الأسلوب في البيت الذي يلي البيت السابق :

وإنْ تَكُ كَعبٌ مِن كُعوبٍ كبيرةٍ فلا بُدَّ يوماً أنّها في مَجاهِلِ[٧٤]

وهنا جاءت (إنْ) في البيتين بعدها فعل الشرط (تَكُن) وقد حذف الشاعر نون (تَكُن)، ومن المعلوم أنَّ (كانَ) تختصُّ بأمورٍ: منها مجيؤها زائدة ، ومنها جواز حذف آخرِها وذلك بخمسة شروط هي :

١. أنْ تكون بلفظ المضارع.
٢. أنْ تكون مجزومة.
٣. أنْ لا تكون موقوفاً عليها.
٤. أنْ لا تكون متصلة بغير نصب وبساكن ، وذلك كقوله تعالى﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾[٧٥]

أصله : أكون فحذفت الضمّة للجازم ، والواو للسّاكنين ، والنون للتخفيف ، وهذا الحذف جائز والحذفان الأولان واجبان ..))[٧٦].

ومن صور استعمال أسلوب الشرط والجزاء استعمال (لو) الشرطية وهي تدلّ على ثلاثة أمور:

١. عقد السببية والمسببيّة بين الجملتين بعدها.
٢. كونها في الماضي.
٣. امتناع السبب[٧٧].

وقد جاءت (لو) مع جوابها في قول أبي طالب(ع) :

ولو طَرقت ليلاً قصيّاً عظيمةٌ إذاً مالجأنا دونهم في المَداخلِ[٧٨]

ومثل ما تقدم قول أبي طالب أيضاً:

ولو صَدقوا ضَرباً خِلالَ بيوتِهِمُ لَكُنّا أُسَى عندَ النساءِ المَعاطِلِ[٧٩]

ومن أسلوب الشرط استعمال أبي طالب (لولا) وجوابها وهي الداخلة على جملتين اسمية وفعلية لربط امتناع الثانية بوجود الأولى نحو (لَولا زيدٌ لأكرَمْتُك) أي: لولا زيدٌ موجود[٨٠]. وقد وردت (لولا) في قول أبي طالب :

فوالله لولا أنْ أجيء بِسُبَّة تجرُّ على أشياخنا في المحافلِ

لكُنّا اتبعناهُ على كلِّ حالةٍ من الدهر جدّاً غير قولِ التهازُلِ[٨١]

ثالثاً : البعد البلاغي

في لامية أبي طالب مسائل تتعلق بالبلاغة، منها أنَّ الشاعر استعمل :

١-**أُسلوب الاستعارة** : وهو فنٌّ بلاغي، ويُراد بالاستعارة استعمال للفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه، والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي، وهي تشبيه مختصر، إلّا أنّها أبلغ منه كقولك : رأيت أسداً في المدرسة والمراد : رأيت رجلاً شجاعاً كالأسد في المدرسة فحذفت المشبَّه (رجل) وحذفت الأداة (الكاف) وحذفت وجه التشبيه (الشجاعة) وألحَقته بقرينة (المدرسة) لِتُدِلَّ على أنّك تريد بالأسد شجاعاً[٨٢] . وقد استعمل أبوطالب في لاميتة أُسلوب الاستعارة في أكثر من موضع ، ومن ذلك قوله :

ولمّا رأيت القومَ لا ودَّ فيهم وقد قطّعوا كُلَّ العُرى والوسائلِ[٨٣]

والعروة هنا معدودة من المشترك اللفظي ، وهي ترد في اللُّغة لعروة القميص والكوز، والعُروة في الشجر الذي لايزال باقياً في الأرض لا يذهب والجمع عُرى. جاء في أساس البلاغة :((وتستعار العروة لما يوثق به ويعوّل عليه ، فيقال للمال النفيس والفرس الكريم لفلان عروة وللإبل عروة من الكلأ وعلقة))[٨٤]. وقال الراغب الاصفهاني :((والعروة ما يتعلق به من عراه أي: ناحيته ، قال تعالى﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾[٨٥] ، وذلك على سبيل التمثيل ، وقال الزمخشري في تفسير الآية المتقدمة:((وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر

والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنَّه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقّن به))[٨٦] .

٢-**أسلوب التشبيه** : استعمل أبو طالب في لاميته أُسلوب التشبيه في أكثر من موضع. والتشبيه اصطلاحاً هو : عقد مماثلة بين أمرين ، أو أكثر قصد اشتراكهما في صفة ، أو أكثر بأداة لغرض يقصده المتكلم[٨٧] . وقد استعمل لفظ (مثل) في التشبيه في قوله:

بِكفٍّ فتًى مثل الشهابِ سُميدعٍ أخي ثقة حامي الحقيقةِ باسلِ[٨٨]

والشهاب هنا وصف للفتى. والشهاب في اللغة شعلة نار ساطعة ويقال : إنَّ فلاناً لَشِهابُ حرب إذا كان ماضياً فيها ، والجمع شُهُب وشُهبان أيضاً[٨٩] ، وذكر الزمخشري قولين من أقوال العرب متضمنين المجاز : ((وفلان شهاب حرب، وهؤلاء شهبان الجيش))[٩٠]. ووظف أبوطالب التشبيه باستعمال (الكاف) في قوله:

وسائِل أبا الوليد ماذا حَبَوتَنا بِسعيك فينا مُغرِضاً كالمُخاتِلِ

والمغرض هنا مَن يجعلك غرضاً[٩١]. والمخاتل هنا هو المخادع يقال: ختله وخاتله أي خدعه والتخاتل: التخادع[٩٢] ، وذكر الكاف التي تفيد التشبيه في قوله :

شبابٌ مِنَ المُطَّلبينَ وهاشمٍ كبيضِ السيوفِ بينَ أيدي الصياقِلِ

أراد بالمطلبين بني المطلب[٩٣] ، وجاء في كتب اللغة أنَّ الصاقل مَن يصقل السيف ، أي يجلوه ، والجمع صَيقلَة ، والصانع صيقل ، والجمع الصياقلة ، والصقيل السيف ، ويُقال: هو صيقل من الصياقل ، والصياقلة ، وصقل السيف والمرآة والثوب والورق بالمصقلة صَقْلاً وصِقالاً[٩٤]. وفي ذلك قال أبو طالب :

وَمَرَّ أبوسفيان عنّي مُعرِضاً كأنّك قَيْلٌ في كبارِ المَجادِلِ[٩٥]

القَيْل: كما قال شارح ديوان أبي طالب؛ الملك ، وجاء في شرح صانع الديوان أنَّ المَجدَل: القصر[٩٦]. أراد أبو طالب أنْ يُشبّه أبا سفيان بأنَّه مرَّ كأنَّه ملك من سكان القصور الفخمة العالية . وورد التشبيه في اللامية مجرداً من أداة التشبيه في قول أبي طالب:

بضَربٍ ترى الفتيانَ عنه كأنَّهم ضواري أُسُودٍ فوقَ لَحمٍ خَرادِلِ[٩٧]

أراد باللحم الخرادل الخراديل وهو اللحم المقطع ، فشبّه أبو طالب **عليه السلام** ضرب فتيانهم في الحرب كضرب الأسود في اللحوم التي تأكلها وتقطعها قِطَعاً قِطَعاً.

٣-**أسلوبُ الالتفات** : وهو من الأساليب البلاغية التي جاءت في اللامية والالتفات: نقل الكلام من أُسلوب إلى أُسلوب وهو نقل معنوي لا لفظي فقط ، فبينهما عموم وخصوص من وجه ، وكذا وضع الظاهر موضع المضمر ، وثمّة التفات وعدول من أسلوب إلى آخر أهم من الالتفات كما في الرفع والنصب والمعدول إليه ممّا يقتضيه عامل المنعوت ، ومن الالتفات نقل الكلام من خطاب الواحد إلى الاثنين كقوله تعالى﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴾[٩٨]، ومن خطاب الواحد إلى الجمع كما في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ ﴾[٩٩]، وقد يكون الالتفات من الاثنين إلى الواحد كما في قوله تعالى﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾[١٠٠]، وقد يكون من الاثنين إلى الجمع كما في قوله تعالى ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ ﴾[١٠١] ومن الجمع إلى الواحد كما في قوله تعالى﴿ وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[١٠٢]، ومن الجمع إلى الاثنين كما في قوله تعالى﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾[١٠٣] ثم قال﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[١٠٤]، وشرط الالتفات أنْ يكون الضميرُ في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنتقل عنه فنحو (أكرِمْ زيداً وأحسِنْ إليه) ليس التفاتاً ؛ لأنّ فاعل (أكرمْ) غير الضمير في (إليه)[١٠٥]. ومن شواهد الالتفات القرآنية أيضاً قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[١٠٦] قال الزمخشري: فإنْ قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت: للمبالغة كأنّه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ، ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح[١٠٧].

وقد استعمال أبو طالب أُسلوب الالتفات في لاميته في قوله :

وَمَرَّ أبو سفيانَ عنّي مُعرضاً كأنَّكَ قَيْلٌ في كبارِ المَجادِلِ[١٠٨]

وقد عدل أبو طالب في هذا البيت من استعمال ضمير الغائب(كأنَّه) إلى استعمال ضمير المخاطب (كأنك) ؛ لأنَّه أراد المبالغة في الذم والتنبيه على شناعة الفعل ، وقد قصد بهذا البيت تأنيب أبي سفيان لعدم اكتراثه بما عليه هو وبنو هاشم من محنة ومعاناة في الشعب ،وأنّ أبا سفيان أعرض عن أبي طالب وبنيه بخيلاء الملوك المتغطرسين والجبابرة والقيل في البيت معناه الملك والسلطان والمجادل جمع مجدل ، وهو القصر الفخم .

٤-أسلوب الكناية : الكناية لغة : مايتكلم به الإنسان ويريد به غيره ، واصطلاحاً لفظ أُريد به غير معناه الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم قرينة مانعة من إرادته نحو: زيد طويل النجاد ، تريد : أنه شجاع عظيم فعدلت عن التصريح بهذه الصفة إلى الاشارة إليها بشيء تترتب عليه وتلزمه ؛ لأنَّه يلزم من طوله حمّالة السيف طول صاحبه ومع ذلك يَصحّ أنْ يُراد المعنى الحقيقي ، والفرق بين الكناية والمجاز صحة إرادة المعنى الأصلي في الكناية دون المجاز [١٠٩]. وقد استعمل أبوطالب أُسلوب الكناية في قوله :

وقد حالفوا قوماً علينا أظنَّةً يعضّونَ غيظاً خلفنا بالأنامِلِ[١١٠]

وعضّ الأنامل: كناية عن الغيظ والندم، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى﴿ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[١١١] وقد ذكر الزمخشري: أن المغتاظ والنادم يوصف بعضّ الأنامل والبَنان والابهام، قال الحارث بن ظالم المُرّي:

فأقتلُ أقواماً لئاماً أذِلّةً يعضّون مِن غَيظٍ رؤوسَ الأباهم[١١٢]

أراد أبو طالب أنّ قريشاً أبرمت عهوداً مع الحانقين والحاقدين ممن يضمرون إليهم الضغينة والسوء ويدسون إليهم التهم والأباطيل للتنكيل بهم ، وأنّ هؤلاء الذين حالفتهم قريش قوم يعضون أناملهم من شدّة غيظهم وحقدهم عليهم ، وكنّى بعضّ أعدائهم أناملهم من شدة الحقد والكراهية له ولأتباعه .

الخاتمة

توصل الباحثان إلى النتائج الآتية :

- إنَّ أبا طالب قامة شعرية مميزة في أوساط الشعراء المخضرمين، وهو كذلك بين شعراء العصر الجاهلي استناداً إلى شهادة زعماء الأدب العربي. فهو أفضل شعراء

الجاهلية والاسلام عند ابن كثير وعند غيره من نقاد الأدب العربي ، فقد تميز في عصره واخترق جدار العصور التي تلته ولم تزل لاميته وسائر شعره المنشور في ديوانه غضاً طرياً يحتفظ بنكهته التي تستقطب الأدباء والنقّاد.

- الأبعاد اللغوية الفخمة التي احتوت عليها اللامية على مستوى النحو والصرف والبلاغة، استقطبت العديد من اللغويين والنحويين والبلاغيين من أمثال سيبويه وابن قتيبة والبغدادي وابن دريد وأبي علي القالي وأبي الفرج الاصفهاني وابن الشجري وابن هشام الأنصاري والسيوطي وغيرهم كثير، ممن اعتمدوا شعر اللامية شواهدَ لموضوعات دراساتهم اللغوية التي تمثل اليوم مصادر في اللغة والأدب. وهذا يعني أنّ على أدبائنا وشعرائنا بوجه خاص وكذلك نقاد الأدب المعاصر الالتفات إلى لامية أبي طالب ، ودراستها والتدقيق فيها للاستفادة من لغتها وأسلوبها وأغراضها ، فضلاً عن أنَّ لغة الشاعر الجمالية من خيال وصور وإيقاع ولغة جزلة أعانت الشاعر على تقديم إنجاز أدبي على أكمل وجه مما أحالت شعره إلى مرآة لشخصيته التي برزت بشكل جلي لتفوّق أدوات لغته الشعرية المميزة، كل ذلك يحدونا إلى استلهام الدروس الأدبية منها. كما أنَّه حقق نجاحاً باهراً في تسخير الأدوات اللغوية والبلاغية في توظيفها لتحقيق أهدافه السياسية والعقائدية والحيلولة أمام كفار قريش من النيل من الرسول والرسالة .
- لما كان تأصيل النتاجات الأدبية يمهد لفتح سبل تعميق الهوية الثقافية، فان القيام بدراسة النصوص الأدبية لبلغاء رساليين من قبيل أبي طالب (ع) ولاميته من زوايا لغوية متعدّدة سيسهم في تواصل حلقات النتاجات الأدبية المعاصرة مع الماضي على النحو الذي يثري النتاجات المعاصرة.

Abstract

(The Linguistic and rhetorical Dimensions of lamiyati abi - talib BEUH)

Key Words: lamiyati abi – talib

Asst. prof. Hussein Muneer al-deen Sadr-allah Hadidi ph.D
Asst. Instructor Basim Ahmed Mohammed Mohammedi
Faculty of Arabic and Arts / Payame Noor University

The literary texts of the poets and writers in the early Islamic period are considered an important source for people who are interested in civilization ,

history, literature, language , and poetry. These literary texts enable us to know the details of the historical events which are respected by Muslims as the Honorable Prophet Mission .

In addition to that, these literary texts are considered a fertile material for establishing the contemporary products in poetry , prose , grammar, rhetoric, eloquence, and language. Lamiyatu abi- talib is at the head of the poems which dated to the introductory signs of the Honorable Prophet Mission. It is also at the head of the literary texts which contains rich linguistic vocabulary .

This article is concerned with studying some aspects of the linguistic implications of this rare poem through reviewing the literary and linguistic sources and identifying the views of the Arabic literature notables about al-lamiya which is considered a good example of the Arabic poetry . This article also includes studying examples of the grammatical , linguistic , and rhetorical citations cited by many compilers of Arabic literature over different ages.

الهوامش

(١) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٧٠.
(٢) ينظر المصباح المنير ، للفيومي ٣٩٢/١.
(٣) الكهف/٢٨.
(٤) ينظر لسان العرب ، لابن منظور ١١٨/١٠.
(٥) سنن الدار قطني ، لأبي الحسن الدراقطني ١٤٠/٣.
(٦) ينظر المصباح المنير ، للفيومي ٣٩٢/١.
(٧) ينظر القاموس المحيط ، للفيروزآبادي١٤٥.
(٨) ينظر المصدر نفسه ١٢٢٩.
(٩) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٧٠.
(١٠) المصباح المنير ، للفيومي ٣٩٨/١.
(١١) القاموس المحيط ، للفيروزآبادي٧٣٤.
(١٢) المصباح المنير ، للفيومي ٤٥٠/٢.

(١٣) المجادلة/٢.

(١٤) الحاقة/٤٧.

(١٥) يوسف/٣.

(١٦) ينظر شرح شذور الذهب ، لابن هشام ١٤٣.

(١٧) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٧٠.

(١٨) ينظر مغني اللبيب ، لابن هشام ٢٩٣/١.

(١٩) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٧٠.

(٢٠) ينظر شرح قطر الندى وبلّ الصدى ، لابن هشام ٢٤٧.

(٢١) ينظر الأساليب الإنشائية ، عبد السلام محمد هارون ١٦٢.

(٢٢) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٧٤.

(٢٣) المصدر نفسه .

(٢٤) يوسف/٥٨.

(٢٥) ينظر ، الكشاف ، للزمخشري ٥٥٢/٢.

(٢٦) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٢١٤.

(٢٧) ينظر الأساليب الإنشائية ، عبد السلام محمد هارون ١٧٠.

(٢٨) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٧٥.

(٢٩) ينظر المصدر نفسه ٨١.

(٣٠) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٨٢.

(٣١) الصحاح ، للجوهري ٨٠٩.

(٣٢) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٨٤.

(٣٣) ينظر شرح قطر الندى وبلّ الصدى، لابن هشام٢٥١.

(٣٤) ينظر مغني اللبيب ، لاّبن هشام ١٨١/١.

(٣٥) ينظر المصدر نفسه ١٨٠/١.

(٣٦) ينظر المصدر نفسه ١٨٠/٢.

(٣٧) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٨١.

(٣٨) المسد/٤.

(٣٩) ينظر شرح قطر الندى وبلّ الصدى ، لابن هشام ٢٨٥.

(٤٠) ينظر الانصاف في مسائل الخلاف ،لابي البركات الانباري ٤٦٨/٢.

(٤١) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٧٤.

(٤٢) الصحاح ، للجوهري ٨٢ .

(٤٣) الأعراف/٦٣.

(٤٤) شرح الصمدية ، للشيرازي٦١.

(٤٥) المطففين/٣.

(٤٦) الأعراف/١٥٥.

(٤٧) ينظر الكامل في اللغة والأدب ، للمبرَّد ٣١/١.

(٤٨) ينظر شرح الصمدية ، للشيرازي ٨٥.

(٤٩) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٧٠.

(٥٠) ينظر المصدر نفسه ٧٩.

(٥١) ينظر المصدر نفسه ٧٠.

(٥٢) ينظر السيرة النبوية ، لابن هشام ٢٩٨/١.

(٥٣) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٧٨.

(٥٤) ينظر المصدر نفسه ٨١.

(٥٥) ينظر المصدر نفسه ٧٦.

(٥٦) ينظر المصدر نفسه ٧٦.

(٥٧) ينظر الخصائص ، لابن جنّي ٢١٨/٣، ٢٢٠ ـ ٢٢١.

(٥٨) ينظر شرح شذور الذهب ، لابن هشام ٢٤٥ ، والانصاف في مسائل الخلاف ، لابي البركات الأنباري ، ٦٠٢/٢.

(٥٩) ينظر شرح قطر الندى وبلّ الصدى ، لابن هشام ٢٨٤.

(٦٠) الأنعام/١٥١.

(٦١) ينظر شرح قطر الندى وبلّ الصدى ، لابن هشام ٨٠.

(٦٢) الإسراء/٦٧.

(٦٣) العنكبوت/٦٥.

(٦٤) لقمان/٣٢.

(٦٥) هود/٧٤.

(٦٦) ينظر مغني اللبيب ، لابن هشام ٢٧٠/١.

(٦٧) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٧٠.

(٦٨) ينظر المصدر نفسه ٧٨.

(٦٩) ينظر المصدر نفسه ٨١.

(٧٠) ينظر المصدر نفسه ٨١.

(٧١) ينظر المصدر نفسه ٧٩.

(٧٢) ينظر شرح قطر الندى وبلّ الصدى ،لابن هشام ٩٢. وجامع الدروس العربية ، للغلاييني ١٩٦/١.

(٧٣) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٨٢.

(٧٤) ينظر المصدر نفسه ٨٤.

(٧٥) مريم/٢٠.

(٧٦) شرح قطر الندى وبلّ الصدى ، لابن هشام ١٣٨.

(٧٧) ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام ٢٥٥/١.

(٧٨) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٨٢.

(٧٩) ينظر المصدر نفسه ٨٢.

(٨٠) ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام ٢٥٩/١.

(٨١) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٨٤.

(٨٢) ينظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، للهاشمي ٢٦٤.

(٨٣) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٧٠.

(٨٤) أساس البلاغة ، للزمخشري ٤١٩.

(٨٥) البقرة/٢٥٦.

(٨٦) الكشاف ، للزمخشري ١٢٨/١.

(٨٧) ينظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، للهاشمي ٢١٤.

(٨٨) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٧٥.

(٨٩) ينظر أساس البلاغة ، للزمخشري ٣٤٠.

(٩٠) المصدر نفسه ٣٤٠.

(٩١) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٧٨.

(٩٢) ينظر الصحاح ، للجوهري ٣٠٥.

(٩٣) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٨٤.

(٩٤) ينظر أساس البلاغة ، للزمخشري ٣٥٨، والصحاح ، للجوهري ٦١٥.

(٩٥) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٧٨.

(٩٦) ينظر المصدر نفسه ٧٨.

(٩٧) ينظر المصدر نفسه ٨٤.

(٩٨) يونس/٧٨.

(٩٩) الطلاق/١.

(١٠٠) طه/٤٩.

(١٠١) يونس/٨٧.

(١٠٢) يونس/٨٧.
(١٠٣) الرحمن/٣٣.
(١٠٤) الرحمن/٣٤.
(١٠٥) ينظر الكليات ، لأبي البقاء الكفويّ ١٤١ ، ٢٢٨.
(١٠٦) يونس/٢٢.
(١٠٧) ينظر الكشاف ، للزمخشري ٤٧٦/١.
(١٠٨) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٧٨.
(١٠٩) ينظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، للهاشمي ٢٩٧.
(١١٠) ينظر ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد آل ياسين ٧٠.
(١١١) آل عمران/١١٩.
(١١٢) ينظر الكشاف ، للزمخشري ١٨٥/١.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- أساس البلاغة ، أبو القاسم جار الله الزمخشري، دار صادر، بيروت ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م .
- الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٧م .
- الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، أبو البركات الأنباري، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م .
- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب ، الشنمتري ، تحقيق الدكتور زهير عبدالمحسن سلطان دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٢م .
- جامع الدروس العربية ، مصطفى الغلاييني ، العصرية للطباعة والنشر ، لبنان ، ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٦م .
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م .

- الخصائص ، أبو الفتح عثمان ، ابن جنّي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م .
- ديوان أبي طالب بن عبد المطلب ، صنعة أبي هفان المهزمي وعلي بن حمزة البصري ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م .
- سنن الدار قطني ، أبو الحسن علي الدار قطني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م .
- السيرة النبوية ، أبو محمد عبد الملك المعافري ، ابن هشام ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م .
- شرح شذور الذهب ، أبو محمد عبد الله جمال الدين الانصاري ، ابن هشام ، دار الطلائع ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م .
- شرح الصمدية ، السيد صادق الحسيني الشيرازي ، دار الأنصار، قم ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م .
- شرح قطر الندى وبلّ الصدى ، أبو محمد عبد الله جمال الدين الانصاري ، ابن هشام ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٦٢هـ ـ ١٩٤١م .
- الصحاح ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، القاهرة ، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م .
- القاموس المحيط ، مجدالدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م .
- الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبّرد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م .
- الكشاف ، أبو القاسم جار الله الزمخشري ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الكفوي الحسيني ، أبو البقاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م .

- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين ، ابن منظور ، دار صادر، بيروت ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧١م .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بنمحمد بن علي الفيومي المقرئ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٦م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، أبو محمد عبد الله جمال الدين الانصاري ، ابن هشام ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٣م .